

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ 23 سؤال 1442 هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مَعْرِفَةَ الْعَبْدِ لِسَعَةِ رَحْمَةِ رَبِّهِ يَمْلَأُ قَلْبَهُ طُمَأْنِينَةً، لَا فِي حَالِ السَّرَّاءِ وَالنَّعْمَاءِ فَحَسْبُ، بَلْ وَفِي حَالِ الْإِبْتِلَاءِ وَالضَّرَّاءِ كَذَلِكَ؛ فَاللَّهُ ﷻ يَبْتَلِي عِبَادَهُ لِيُرِيَهُمْ لِحَمْلِ أَمَانَتِهِ، وَلِيَمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ. قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾. مِنَ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ، الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَلَا مَخْلُوقَ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَغَمْرَهُ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ، وَلَكِنَّ الرَّحْمَةَ الْخَاصَّةَ الْمُقْتَضِيَةَ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَيْسَتْ لِكُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ عَنْهَا: ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الْمَعَاصِي، صِغَارَهَا وَكِبَارَهَا. اهـ

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِالرَّحْمَةِ، وَوَصَفَهُ بِذَلِكَ رَسُولُهُ ﷺ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنْ أَبِي طَوِيلٍ شَطَبِ الْمَمْدُودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «فَهَلْ أَسَلِمْتَ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهِنَّ»، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: «إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَايِدِ الشَّيْطَانِ»: فَمِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ بِعِبَادِهِ: ابْتِلَاؤُهُمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي رَحْمَةً وَحَمِيَّةً، لَا حَاجَةَ مِنْهُ إِلَيْهِمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، فَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَلَا بُخْلًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ بِمَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ، فَهُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ: أَنْ نَعَّصَ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا وَكَدَّرَهَا؛ لِئَلَّا يَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَلَا يَطْمَئِنُّوا إِلَيْهَا، وَيَرْغَبُوا فِي النِّعَمِ الْمُقِيمِ فِي دَارِهِ وَجَوَارِهِ، فَسَاقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ بِسِيَاطِ الْإِبْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ، فَمَنْعَهُمْ لِيُعْطِيَهُمْ، وَابْتَلَاهُمْ لِيُعَافِيَهُمْ، وَأَمَاتَهُمْ لِيُحْيِيَهُمْ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ: أَنْ حَذَّرَهُمْ نَفْسَهُ؛ لِئَلَّا يَغْتَرُّوا بِهِ، فَيُعَامِلُوهُ بِمَا لَا تَحْسُنُ مُعَامَلَتُهُ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. قَالَ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: مِنْ رَأْفَتِهِ بِالْعِبَادِ: حَذَّرَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ؛ لِئَلَّا يَغْتَرُّوا بِهِ. اهـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ لِنَيْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ أَسْبَابًا عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَيْهَا، وَمِنْهَا:

الْأَوَّلُ: رَحْمَةُ الْعِبَادِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ عَلَّامَةُ مِصْرَ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ، لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ ﷻ». قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»: قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: فِيهِ الْحُضُّ عَلَى اسْتِعْمَالِ الرَّحْمَةِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، فَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَالْبَهَائِمُ الْمَمْلُوكُ مِنْهَا وَغَيْرُ الْمَمْلُوكِ، وَيَدْخُلُ فِي الرَّحْمَةِ التَّعَاهُدُ بِالْإِطْعَامِ وَالسَّقْيِ، وَالتَّخْفِيفُ فِي الْحَمْلِ، وَتَرْكُ التَّعَدِّيِّ بِالضَّرْبِ.

الثَّانِي: التَّقْوَى. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

الثَّالِثُ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. ❀

الرَّابِعُ: طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ❀ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. ❀

الخَامِسُ: الإِسْتِغْفَارُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ❀ قَالَ يَقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. ❀

السَّادِسُ: الإِيْمَانُ وَالْهَجْرَةُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ❀ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، ❀ وَقَالَ ﷺ: ❀ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ. ❀

السَّابِعُ: سُؤَالَ اللَّهِ الرَّحْمَةَ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى لِسَانِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ: ❀ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، ❀ وَقَالَ تَعَالَى: ❀ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ. ❀

الثَّامِنُ: اتِّبَاعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْعَمَلُ بِهِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ❀ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. ❀

التَّاسِعُ: الإِسْتِمَاعُ وَالْإِنْصَاتُ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ❀ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. ❀ قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا الْأَمْرُ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ سَمِعَ كِتَابَ اللَّهِ يُتْلَى، فَإِنَّهُ مَأْمُورٌ بِالإِسْتِمَاعِ لَهُ وَالْإِنْصَاتِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الإِسْتِمَاعِ وَالْإِنْصَاتِ: أَنَّ الإِنْصَاتَ فِي الظَّاهِرِ بَتْرَكِ التَّحَدُّثِ أَوْ الإِشْتِغَالِ بِمَا يَشْغُلُ عَنِ اسْتِمَاعِهِ، وَأَمَّا الإِسْتِمَاعُ لَهُ، فَهُوَ أَنْ يُلْقِيَ سَمْعَهُ، وَيُحْضِرَ قَلْبَهُ وَيَتَدَبَّرَ مَا يَسْتَمِعُ، فَإِنَّ مَنْ لَازَمَ عَلَى هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ حِينَ يُتْلَى كِتَابُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنَالُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَعِلْمًا غَزِيرًا، وَإِيْمَانًا مُسْتَمِرًّا مُتَجَدِّدًا، وَهُدًى مُتَزَايِدًا، وَبَصِيرَةً فِي دِينِهِ؛ وَلِهَذَا رَتَّبَ اللَّهُ حُصُولَ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِمَا، فَدَلَّ

ذَلِكَ عَلَى أَنْ مَنْ تَلِيَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ لَهُ وَيُنصِتْ، أَنَّهُ مَحْرُومٌ الْحِظِّ مِنَ الرَّحْمَةِ، قَدْ فَاتَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ. اهـ

الْعَاشِرُ: الْإِسْتِرْجَاعُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

الْحَادِي عَشَرَ: أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَبَيَّضَ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسَوَّدَ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفِرْقَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الثَّانِي عَشَرَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالْإِعْتِصَامُ بِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

الثَّلَاثَ عَشَرَ: دِرَاسَةُ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ لِلْعِبْرَةِ وَالْعِظَةِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىٰ مِنْ نَّشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١١﴾﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.